حالى في دولتك الى الاختلال اقرب منها الى الاعتدال لكنني ملتزم لك من النصيحة ما
يستوجبه الملك على الرعية فمن ذلك خبر وقع في اذني من بعض اصحاب ضيفك هذا
يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون انفسهم وملكهم احق بهذه النعم منكم وقد
رايت رايا وان اذنت لاصغاء اليه قلته فقال له المعتمد قله قال ارايت ان هذا الرجل
الذي اطلعته على ملكك رجل مستاسد على الملوك قد حطم بين العدوة زناته واخذ الملك
من ايديهم ولم يبق على احد منهم ولا يؤمن ان يطمح الى الطماعية في ملكك بل في ملك جزيرة
الاندلس كلها بما قد عاينه من تالهيته عيشك وانه محل في مثل حالك ساير ملوك الاندلس
وان له من الولد والاقارب من يؤثر مسراتهم ومن يعد له الحلول بما انت فيه من خضب الجناب
وقد اودى الادفونش وجيشه واستاصل شافتهم واعدمك منه اقوى ناصر عليه لو احتجت
اليه فقد كان القاضي لك منه اقوى عضد وادفع محن وبعد ان فات الامر في الادفونش لا
يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم قال له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال ان تزمع امرك على قبض
ضيفك هذا واعتقاله في قصرك وتحزم انك لا تطلقه حتى يامر كل من بجزيرة الاندلس من
عسكره ان يرجع من حيث جا حتى لا يبقى بالجزيرة منهم طفل ثم تتفق انت وملوك الجزيره
على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه لغزاة له ثم من بعد ذلك استحلفه باغلظ الايمان
ان لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيره الا باتفاق منكم وصنه وتاخذ منه على ذلك
رهاين فانه يعطيك من ذلك ما اشاء فنفسه اعز عليه من جميع ما تلتمسه منه فعند ذلك
يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له ونكون قد استرحت منه بعد ما استرحت
من الادفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيره ويتسع
ملكك وتنسب بهذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما
يقتضيه حزمك في مجاودة من عاملة هذه المعامله واعلم انه قد تهيا لك من هذا الامر
سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مثله ولما سمع المعتمد كلام الرجل
استصوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصه وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في
اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح كان المعتمد على الله وهو امام اهل المكرمات من يعامل
بالحيف ويقدر بالضيق فقال له الرجل انما الغدر اخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن
نفسه المحذور اذا ضاق به قال ذلك النديم كظم مع وفاء خير من حزم مع جفا ثم انه ذكر
الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكره المعتمد واوصله بصلة وانصرف واتصل هذا
الخبر بيوسف بن تاشفين فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا والتحف فقبلها ثم رحل
فعبر من الجزيرة الخضراء الى سبته قلت وهو المكان المعروف برقاق سبته يعدي
الناس فيه من احد البرين الى الاخر اعني بر الاندلس وبر العدوه وقد تقدم الكلام على
هذا المكان قال ولما عبر يوسف الى بر العدوة اقام عسكره بجزيرة الاندلس ريثما استراح
مع تتبع اثار الادفونش توغل في بلاده ولما رجع الادفونش الى موضعه سال عن اصحابه
وشجعانه وابطال عسكره فوجد اكثرهم قد قتلوا ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم
فلم ياكل ولم يشرب حتى مات هما وغما ولم يخلف الا بنتا جعل الامر اليها فحصنت بمدينة

طيطله

طيطله واما عسكر بن تاشفين فانهم في غاراتهم هذه كسبوا من الغنايم ما لا يحد ولا
يوصف وانفذوا ذلك الى بر العدوه واستاذن اميرهم بشير بن ابي بكر يوسف بن
تاشفين في المقام بجزيرة الاندلس واعلمه بانه قد افتتح معاقلا في الثغور ورتب بها
مستحفظين ورجالا لا يخلون فيها وانه لا يستقيم هذه عن جيوش ان تقيم في ضنك من
العيش بصايح العدو وتناسيه وتحظى ملوك الاندلس من الارياف وبرغد العيش فكتب
اليه بن تاشفين بامره باخراج ملوك الاندلس من بلادهم والحاقهم بالعدوه فمن استعصى
عليه منه قاتلهم ولا ينفس عنه حتى يخرج وليبدا منهم بمن جاور من الثغور ولا يتعرض للمعتمد
بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم يولى تلك البلاد امراء عسكره واكابرهم فابتدا بشير
بن ابي بكر بملوك بني هود من ملوك الاندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روطه قلت
بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها
ينبوع في اعلاها وكان من الاقوات بها والذخاير المختلفات ما لا تفنيه الازمان فلم يقدر
عليها فرحل عنها ثم جند اجنادا على صورة الافرنج وامرهم ان يقصدوا هذه القلعة مغيرين
عليها ويكمن هو واصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فراهم صاحب القلعة فاستضعفهم
ونزل في طلبهم فخرج بشير بن ابي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بني طاهر بشرق
الاندلس فسلموا اليه ولحقوا بالعدوة ثم نازل بني صمادح بالمريه وكانت قلعة حصينة
الا انهم لم يكن عندهم اجناد ولا انجاد من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم فلما علم
المعتصم بن صمادح انه مغلوب دخل قصره فادركه اسف قضى عليه فمات من ليلته فاشتغل اهل
فسلموا المدينة ثم نازل المتوكل عمر بن الافطس ببطليوس وكان رجلا شجاعا عظيم القدر كبير
البيت كان ابوه المظفر بالله ابو بكر محمد بن عبد الله التجيبي من فحول العلماء وكان ملكا له
تصانيف اعظمها واشهرها الكتاب المنسوب اليه وهو المظفري في علم التاريخ مدينة بطليوس
من اجمل البلاد لم تدع ولا اقبل على غير المدافعة والقتال الى ان تخامر عليه اصحابه فقبضوا عليه
باليد فقتلوا صبرا وحمل واولاده الا صاغرا الى مراكش وساير ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا
الى بر العدوة الا ما كان من المعتمد بن عباد فان بشير بن ابي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة
كتب الى يوسف بن تاشفين انه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد فارسم في امره بما تراه
فامر بقصده وان يعرض عليه التحول الى بر العدوة باهله وماله فان فعل فيها ونعمه وان
ابى فنازله فلما عرض عليه بشير بن ابي بكر ذلك لم يعطه جوابا فنازله وحاصره مسهرا
ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره وسيرا محمل الى العدوة مقيدا فانزل اغمات و
اقام بها الى ان مات ثم لم يعتقل من ملوك الاندلس غيره وتسلم بشير بن ابي بكر الجزيره كلها
واستحوذ عليها فمات يوسف بن تاشفين وكان رجلا حليما وقورا صالحا عادلا منقادا للحق
والعلما يجبى اليه الاموال من البلاد لم يعزه عن سيرة قط حادث ولا طاف به مكروه
قلت وقد تقدم في ترجمة ابي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي صاحب قلايد
العقيان انه جمع الكتاب المذكور باسم ابرهيم بن يوسف بن تاشفين الذي اشار بقتل
الفتح هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)